Journal of Language Studies Vol. 10, No. 2, Part 1, 2026, Pages (1-27)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.10.2.P1.1

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Psychological Conflict in Al-Muhalhil's Poetry: A Reading of Defense Mechanisms

Lect. Khalid Majeed Farhan (Ph. D.)*
Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of Al-Hamdaniya, Mosul, Iraq
Khalid-majeed-1993@uohamdaniya.edu.iq

Received: 01/02/2026, **Accepted:** 25/02/2026, **Online Published:** 30/06/2026

Abstract

Our research, intitled "Psychological Conflict in Al-Muhalhil's Poetry: A Reading of Defense Mechanisms," aims to clarify the state of Al-Muhalhil and the severe psychological conflict he endured as a poet burdened by the heavy weight of loss following the murder of his brother, Kulayb, by Jassas bin Murrah. He represented a crisis-ridden voice characterized by an internal struggle between the motives of revenge and vendetta on one hand, and the need for rational judgment and conciliation with his cousins on the other.

Consequently, his poetry became an arena for unconscious psychological defense mechanisms, serving as a means to stabilize psychological balance after the breakdown resulting from the loss. His poetry thus represented the sublimation of repressed feelings, the aestheticization of violence, and the transcendence of cruelty, all achieved through repression, rationalization, compensation, denial, and sublimation. Collectively, these mechanisms contributed to creating a heroic image for the poet, through which he attempted to present the self-according to his own desires on one hand, and the expectations of his society on the other.

* **Corresponding Author:** Khalid Majeed Farhan, **Email:** Khalid-majeed-1993@uohamdaniya.edu.iq.
Affiliation: University of Al- Hamdaniya – Iraq.
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

The study comprises two main axes. The first axis addresses the theoretical aspect, defining the concept of psychological conflict (linguistically and terminologically), its types, and the concept, functions, characteristics, and classifications of psychological defense mechanisms. The second axis focuses on the procedural/applied aspect, discussing the manifestations of the defense mechanisms in the poet's work, which appeared in various forms and types, through which he unconsciously attempted to overcome the pain of loss and its heavy consequences.

Keywords: Conflict, Muhalhil, Defense Mechanisms, Psychological, Lose

الصراع النفسي في شعر المهلهل– قراءة في آليات الدفاع

م. د. خالد مجيد فرحان

قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الحمدانية، الموصل، العراق

المستخلص

يهدف بحثنا الموسوم بـ(الصراع النفسي في شعر المهلهل– قراءة في آليات الدفاع) إلى بيان حال المهلهل وما مرّ به من صراع نفسي حاد، بوصفه شاعراً محمّلًا بأعباء الفقد الثقيلة، بعد مقتل أخيه كليب على يد جساس بن مرة، إذ مثّل صوتاً مأزومًا تمثل بصراع داخلي بين دوافع الانتقام والثأر من جهة وتحكيم العقل مع أبناء العمومة من جهة أخرى، فجاء شعره ساحة لآليات الدفاع النفسي اللاشعورية؛ بوصفها وسيلة لتثبيت التوازن النفسي بعد الانكسار جراء الفقد، فكان شعره تمثّلًا عن تصعيد المكبوتات، وتجميل العنف وتجاوز القساوة، كل ذلك من خلال الكبت، والتبرير، والتعويض، والإنكار، والتسامي؛ إذ ساهمت بمجملها في خلق صورة بطولية للشاعر حاول من خلالها إظهار النفس وفق ما تريد ذاته من جهة، وما يريده مجتمعه من جهة أخرى.

وتضمّنت الدراسة محورين اثنين تمثّل المحور الأول بالجانب النظري، ورصدت فيه مفهوم الصراع النفسي بين اللغة والاصطلاح، وأنواع الصراع، ومفهوم آليات الدفاع النفسي، ووظائفه، وخصائصه وأصنافه، أمّا المحور الثاني فكان للجانب الإجرائي؛ تحدّثت فيه عن تمثّلات آليات الدفاع عند الشاعر التي ظهرت بصور شتى وبأنواعها المختلفة التي حاول فيها بصورة لا شعورية تجاوز آلام الفقد وتبعاته الثقيلة.

الكلمات المفتاحية: صراع، مهلهل، آليات دفاع، نفسي، الفقد

توطئة

بقي الشعر الجاهلي معينا ثرّا للدراسات بمختلف أنواعها؛ رغم أن السابقين لم يغفلوا عن تناول هذا الشعر بوصفه مادة تجسّد الظواهر الإنسانية، غير أن الكثير من الباحثين تناولوا المفاهيم العامة كالطبيعة والرثاء، والفخر، والخوف،

والشجاعة، والتمرد، والهجاء، وغيرها كثير، فصار ديوان العرب يعاني ما يعانيه من التخمة في الدراسات، غير أننا بعد التمحيص والبحث الدقيق لم نجد بحثًا في بعض القضايا المخفية، ذات الاتصال المباشر مع العلوم الإنسانية، كعلم النفس وعلم الاجتماع، فوقع اختيارنا على (الصراع النفسي في شعر المهلهل–قراءة في آليات الدفاع)؛ إذ مثّل الصراع النفسي ظاهرة بارزة عند الشاعر، وانفعالاً داخليا تأرجحت عنده فكرة رفض الواقع المؤلم من فقد الأخ، وأخذ يدفع عن نفسه كل فكرة تشعره بفقدان توازنه النفسيّ ومكانته الاجتماعيّة عبر ما يسمى: بآليات الدفاع النفسي.

وكما هو معلوم فإن الكثير من الظواهر تحدث للإنسان وهو لا يعلم ولا يحس بها ولا يراها، وتلبسه ثوب الوقار في المواقف الحياتية اللازمة وهو على مواجهة مع الحياة وحتمياتها؛ فكما خلق الباري عز وجل مناعة للجسم الإنساني من المرض فإنه خلق مناعة للنفس تعمل كما تعمل المناعة الجسمية بصورة لا شعورية تلقائية دون العلم والإحساس بها، وتمثّل هذه الظاهرة بما يسمى: آليات الدفاع النفسي، إذ تقوم النفس بأنماط من السلوكيات اللاشعورية بهدف التخفيف من حدة التوتر والقلق النفسي الذي ينشأ لأسباب مختلفة يتعرض لها الفرد وتأثر في نفسه ومكانته الاجتماعية.

ووفق ما تتيحه الآليات الدفاعية من مقاربة للنص الإبداعي الشعري بوصفه تعبيراً عن التوترات الداخلية والفراغات النفسية العميقة رأينا جليّا أن ندرس الصراع النفسي في شعر المهلهل، وبخاصة أن تجربة الشاعر كانت مبنية على فقد الأخ، وما تبعها من التزام قيمي بالأخذ بالثأر وخوض صراع طويل مع الأعداء، فجاء شعره ميدانًا مثاليًا لتجلي هذه الآليات، كالكبت والإنكار، والتسامي، والتعويض والتبرير، والتي جاءت لا شعورية في أغلب الأحيان؛ لاحتواء أزمته النفسية وتخفيف ما يعانيه من صراع نفسي قاسٍ وحزن عميق على الفقد وتبعاته المؤلمة نفسياً وفكرياً واجتماعياً.

المحور الأول: المهاد النظري

أولًا: الصراع النفسي المفهوم والأنواع:

الصراع في اللغة: النزاع والخلاف والخصام، والمشادة (ينتظر: منظور، 1999، مادة :صرع)، أما الصراع بمعناه العام فهو: ((تعارض قوتين إحداهما واقعة والأخرى مانعة)) (راجح، 1968، 465) ، وعرف أيضا على أنّه ((حالة انفعالية غير سارة تحدث لدى الفرد نتيجة وجود رغبتين متناقضتين في وقت واحد مما يؤدي إلى شعوره بالحيرة والارتباك والتردد والضيق نتيجة عجزه عن الاختيار أو الوصول إلى حل محدد)) (الهزاع، 2020 : 395) ، فهو إذًا ((تعارض موصول بين دافعين لا يمكن إرضاؤهما في وقت واحد)) (راجح، 1968 : 467) .

ثانياً: أنواع الصراع النفسي: يمكن تصنيف أنواع الصراع بالآتي (ينظر: راجح، 1968: 466–467) :

1– **الصراع الخارجي:** ويكون هذا الصراع خارجي المصدر، يقوم بين الفرد وما يعترضه من عقبات خارجية، سواء كانت مادية أو اجتماعيّة تعوق إرضاء حاجاته ورغباته وآماله.

2- الصراع **الداخلي**: وهو الذي ينشأ حين يدب التعارض والتناحر بين الدوافع المختلفة للفرد كالاختلاف بين الشهوة والمبادئ، وبين النزوات والضمير.

3- **الصراع العابر**: هو الذي يكون وقتيًا، كالتعارض في رغبة الطالب بين الدراسة والذهاب إلى اللعب.

4 - **الصراع الدائم**، وهو الذي يكون دائمياً ويبقى في نفس الفرد، مثل: الحاجة الدائمة إلى الحنين والعطف لدى الأطفال.

5- **الصراع البسيط**: وهو ما يتضمن إحباط دافع واحد، أي يعيقه في الوصول إلى الهدف مشكلة واحدة.

6- **الصراع المعقد**: وهو الذي يتمثل في تردد الفرد بين عملين أو مشروعين هامين لهما صلة وثيقة بمستقبله، كالإصرار على الثأر أو قبول الديّة.

7- **الصراع الشعوري**: وهو الذي يعرف فيه الفرد القوتين أو الدافعين المتعارضين، أي أنه يعرف أسباب صراعه ويشعر بها.

8- **الصراع اللاشعوري**: وفيه يكون أحد طرفيه أو كلاهما خافياً لا يشعر به الفرد، مثل: رغبة محظورة وضمير الفرد.

ثانيًا: آليات الدفاع النفسي: المفهوم، والوظائف، والخصائص

1- المفهوم:

يعد مفهوم آليات الدفاع النفسي أو ما يسمى(ميكانزمات الدفاع، أو الحيل الدفاعية) من أهم المفاهيم التي توصل إليها فرويد (freud) والتي تؤدي إلى فهم الفرد للفرد، إذ يُعدُّ من الأوائل الذين أشاروا إلى الآليات اللاشعورية التي تتخذها (الأنا) في الدفاع والحفاظ عن(الهو)، فهي من المفترض أن ((تعمل في مستوى لا شعوري من خلال ملاحظة الأعراض النفسية...أو من خلال وجود سلوك مخالف، أو غير مناسب، أو من خلال الشهوات أو الغفلات الاختيارية، أو من خلال تشويه أو تحريف معنى التهديدات المدركة أو أبعادها من الشعور)) (وجليسر: 2)' وبإبعادها من الشعور فإنها تقلل من القلق الإنساني، وتعيده إلى الاستقرار والشعور بالرفاهية والمكانة الاجتماعية.

وقد عرفت على أنّها: ((استعدادات استجابية ثابتة نسبيًا تساعد على تحريف الواقع حينما تكون موارد الشخص ومهارته، أو دافعيته غير كافية لحل الصراعات الداخلية، أو السيطرة على التهديدات الخارجية لسلامته، أو سعادته)) (وجليسر: 6) وعُرفت أيضا على أنّها: استراتيجيات نفسية لا شعورية –في الغالب- يستخدمها الفرد لتخفيف التوتر والقلق الناتج من صراعات داخلية أو خارجية، أو أحداث ومواقف مؤلمة (ينظر: هال، 1970: 100-101)، وبعبارة أخرى هي: ((تلك الأحداث النفسية التي تقوم بها النفس رداً على الأحوال الاجتماعية والطبيعية التي تعرقل الاشباع الكلي لحاجة (لحاجات) ما، فتنعكس في أقوال الفرد العادي وأفعاله، وفي أشعار الأديب وقصصه ومسرحياته)) (عصار، 2008: 79-80).

2-**الوظائف**: لآليات الدفاع النفسي وظائف نوجزها بالآتي (ينظر: مطر، 2025: 28):

أ- المحافظة على الحياة البشرية، ما يجعلها ذات أهمية ولا يمكن الاستغناء عنها.

ب- إنّها ليست مجرد وسائل تسخرها الأنا لصد الدوافع الجنسية وحسب، بل وظائفها الأساسية مساعدة الأنا في مواجهة سلسلة واسعة من المشاعر التي تهدد الإنسان كالعدوانية، والحزن، والقلق، والانكسار.

جـ - إن آليات الدفاع النفسي لا تسيطر على الواقع النفسي للإنسان فحسب، وإنّما تصوغ العلاقات الاجتماعية للذات والآخرين على حدّ سواء.

3 -الخصائص: يمكن إجمال خصائص آليات الدفاع النفسي بالآتي (ينظر: هال، 1970: 114-115) :

أ- إن آليات الدفاع عند (الأنا) هي وسائل غير متعلقة بمواجهة القلق؛ لأنها تشوه الواقع وتخفيه وتنكره، وتمنع النمو النفسي، فهي تقيد الطاقة النفسية التي تستخدم في وجوه أكثر فاعلية لنشاط (الأنا).

ب-إن لوجود وجوه الدفاع أمر لازم للنمو، ف(الأنا) يتخذ وجوه الدفاع عنده بمثابة إجراءات وقائية.

جـ - إنها ضرورة لازمة لمساعدة (الأنا) في حال فشلها في تخفيف التوتر بالوسائل العقلية، إذ يحتاج الأنا إلى جميع الآليات للمساعدة في تجاوز ما يواجهها.

4. **تصنيف آليات الدفاع:** يمكن تصنيف آليات الدفاع النفسي بوجه عام إلى: (ينظر: راجح، 1968: 476)

أ- الحيل الخداعية: وتنطوي على خداع الذات؛ وذلك بالتمويه على المشكلة أو انكارها أو التنصل منها، أو عدم الاعتراف بها من الأساس.

ب- الحيل التعويضية: وبها يحاول الفرد أن يعوض ما يشعر به من نقص، وحرمان، وانكسار، وقلق.

المحور الثاني: الجانب الإجرائي- قراءة في آليات الدفاع

1- الكبت: عرف على أنّه: ((استبعاد الدوافع المؤلمة أو المخيفة، أو التي تثير في نفوسنا الشعور بالذنب، أو الخزي، أو النقص، أو القلق، وإكراهها على التراجع والبقاء في ذلك الجانب الخفي المظلم من النفس والذي يسمى " اللاشعور" أو العقل الباطن)) (راجح، 1968: 112)، فهي إذًا استبعاد لما يزيح عن النفس الشعور بالراحة والأمان، والاستقرار، والإلقاء بها إلى مستوى اللاشعور، فإذا بقيت هذه المشاعر والآلام والأفكار في مستوى الشعور مثلت له تهديدا غير طبيعي، وأشعرته بالكثير من الألم، والذنب، والتوتر، والتأنيب.

وكما هو معلوم أنّ الشعور واللاشعور صفتان للظاهرة النفسية في نظرية التحليل النفسي، كان من الطبيعي ان يكون ((مضمون العقل شعورياً أو لا شعوريا متوقف على حجم الطاقة المزود بها ، وشدة قوة المقاومة)) (هال، 1970: 66)، فالإنسان بطبيعته الفطرية ((يستشعر الألم أو اللذة حين تتخطى كمية الألم أو اللذة درجة معينة من قيمة الشحنة الانفعالية يطلق عليها عتبة القيمة، وبالمثل يدرك الإنسان موضوعاً في العالم حيث تكون للعملية الإدراكية طاقة تتخطى عتبة القيمة، وحتى تتخطى الشحنة عتبة القيمة فإن الإحساس أو الإدراك لا يملك صفة الشعور؛ بسبب الآثار الكابتة للشحنة المضادة، التي تمنعه من أن يغدو شعورياً)) (هال، 1970: 66)، وفي ضوء هذا كله فإن الكبت عملية لا شعورية في أغلب الأحيان، فحين تتجاوز الآلام عتبة القيمة فإن الإحساس والإدراك يتحول من صفة الشعور إلى اللاشعور.

وفوق وظيفة دفع الآلام والذكريات المؤلمة للكبت، فإن لها وظيفة أخرى تتمثل بـ((الوقوف بالمرصاد للدوافع التي أصبحت لا شعورية ومنعها من اقتحام الشعور، أي منعها من أن تصبح شعورية مرة أخرى))(راجح، 1968: 112)، ولا تقتصر وظيفتها على الوقوف بالمرصاد للواقع، بل تتجاوزها إلى الصدمات الانفعالية والذكريات الأليمة، والأحداث، والأفكار التي من شأنها أن تثير في النفس الشعور بالقلق (ينظر: راجح، 1968: 113)، فهي إذن في ضوء هذا ((وسيلة وقائية دفاعية، أي يدفع بها الفرد عن نفسه... ما يخجله، ويزعجه، ويخيفه ويجرح كبرياءه... وبعبارة أخرى وسيلة لخفض القلق والتوتر النفسي)) (راجح، 1968: 113)، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالكبت يقوم بعملية ((صد الدوافع الثائرة المحظورة ...التي تهدد بالإفلات من زمام الفرد، وأن تتحقق بالفعل بصورة صريحة سافرة مباشرة، مما قد يكوّن خطراً على الفرد أو ضاراً بصالحه في المجتمع)) (راجح، 1968: 113) .

نستطيع القول: إن الكبت في ضوء هذه الوظائف ((محاولة نقل الذات من شعور أو إرهاص معين إلى آخر من أجل التعويض عن لحظة آنية أشعرتها بالتقليل من شأنها)) (حسوني، 2016: 369)، فهي إذن بمثابة خط صدّ تمنع الشعور الحي أو أية شحنات تولد القلق ((من الانطلاق إلى سطح الشعور، وقد تتصدى لها شحنات انفعالية مضادة، والقضاء على شحنة انفعالية أو وقفها بواسطة شحنة انفعالية مضادة تسمى كبتاً)) (هال، 1970: 101).

والكبت نوعان: الكبت الأولي، والكبت الخالص، فالأولي: ((يمنع اختياراً موضوعياً غريزياً لم يكن أبدا شعورياً من أن يغدو كذلك، وألوان الكبت الأولي بمثابة حواجز محددة تحديداً فطرياً، وهي مسؤولة عن الاحتفاظ بجزء عظيم من محتويات "الأنا " في اللاشعور بصفة دائمة)) (هال، 1970: 101)، أما الكبت الخالص فهو ((يطرد خارج الشعور ذكرى أو فكرة أو إدراكاً خطيراً ويقيم سدا دون أي شكل من أشكال التعريف الحركي)) (هال، 1970: 102)..

إن فكرة الكبت في ضوء ما تقدم من تنظير((لا تتخلص في مجرد نسيان الدافع المكبوت، بل هو فوق ذلك إنكار لوجوده، وأنه دافع نستنكره فننكره)) (راجح، 1968: 114) ، وهذا الانكار نابع من أن عدم الوقوف ضد الدافع المكبوت سيولد قلقاً نفسياً كبيراً، فالقلق النفسي كما هو معروف((نابع من تصادم رغبتين متعارضتين)) (شتيكل : 34)، فعوامل الكبت تخلق في أغلب الأحيان في الإنسان روح التمرد والانفعال والثورة على قوانين الحياة وضوابطها (ينظر: شتيكل

: 37)، فهو إذا ضرورة لازمة لحفظ توازن الذات والبقاء في دائرة العيش السليم مكانة وشعورًا ، ولعل هذا ما دفعنا أن نقف على نماذج كثيرة من هذه الآلية عند المهلهل، فحين سمع المهلهل مقتل أخيه وهو يشرب الخمر مع همام بن مرة شقيق جساس قاتل أخيه اكب على التراب وقال : (القوّال، 1995: 25–26)

دَعِينِـــي فَمَـــا فِـــي الْيَـــوْمِ مَصْـــحىً لِشَـــارِبِ وَلَا فِـــي غَـــدٍ مَـــا أَقْـــرَبَ الْيَـــوْمَ مِـــنْ غَـــدِ

دَعِينـــــي فَإِنِّـــــي فِـــــي سَمَـــــادِيرِ سَـــــكْرَةٍ بِهـــــَا جَـــــلَّ هَمِّـــــي وَاسْتَبَـــــانَ تَجَـــــلُّدِي

فَـــــإِنْ يَطـــــْلُعِ الصـــــُّبْحُ الْمُنِيـــــرُ فَـــــإِنَّنِي سَأَغْـــــدُو الْهُوَيْـــــنَا غَيْـــــرَ وانٍ مُفَـــــرَّدِ

وَأَصْبَـــــحُ بَكـــــراً غـــــارَةً صَيْلَمِـــــيَّةً يَنَـــــالُ لَظَاهَـــــا كُـــــلَّ شَيْـــــخٍ وَأَمْـــــرَدِ

إن القراءة السطحية لهذه الأبيات توضح رغبة الشاعر في استمرار الشرب اليوم، وكذلك رغبته في الانتقام وشن حرب شعواء تحرق نارها الشيوخ والفتيان ألا أن التعمق في فهم الأبيات يعطي معنى آخر، فالشاعر من خلال هذه الألفاظ يكبت حزناً عميقاً، إذ أن شرابه للخمر ليس من أجل اللذة كما كان معتاداً، ولا شنه الحرب يشبه الحروب السابقة، بل في هذين التعبيرين وتحتهما كبت لمشاعر أخرى لا يستطيع البوح بها؛ لثقلها عليه ومدى انكساره من فقد كليب وما سيؤول إليه حاله بعد هذه الحياة اللاهية السعيدة إلى حياة أخرى طالباً فيه الثأر وشاعراً بأقسى درجات الضياع والانكسار.

ويقول في موضع آخر خافياً تحت حديثه الكثير من الشعور بالألم والضياع والتيه (القوّال، 1995: 27)

:

فَقَتْـــــلاً بِتَقْتِيـــــلٍ وَعَقْـــــراً بِعَقْـــــرِكُمْ جَـــزَاءَ الْعُطَـــاسِ لا يَمُـــوتُ مَـــنِ أَثَّـــأَرْ

ففي هذا تصريح مباشر على أنّ من يأخذ بثأره لا يعد ميتاً على الحقيقة فذكره سيبقى، ألا أن المهلهل يخفي تحت هذا التصريح المباشرة أو التبرير في الكلام الكثير من الانهزام النفسي والانكسار، إذ يكبت شعوره الحزين تحت هذه الفكرة، وأنه بسرعة إدراكه للثأر يحقق مبتغاه المراد، ويسترد كرامته التي انتهكت بقتل أخيه، إلا أنه في واقع الأمر لا أحد كفء لأخيه، إذ كان ملكاً لا يعادله في المكانة أحد، فالمهلهل وإن أراد أن يقنع نفسه، وأن يشعر بالقليل من الراحة، إلا أنه مدرك تماماً بُعد هذا الشعور عنه حقيقة، فهو يكبت تحت شعور الأخذ بالثأر الكثير من المواجع النفسية والاجتماعيّة، وفي أبيات أخرى يكبت ألمه وحزنه تحت عباءة قتل من كان أقرب الناس إليه، إذ يقول (القوّال، 1995: 38–39):

علـــى أَنِّـــي قَـــدْ تَرَكْـــتُ بِـــوارِدَاتٍ بُجَيـــرْاً فـــي دَمٍ مِثْـــلِ الْعَبِيـــرِ

هَتَكْـــتُ بِـــهِ بُيـــوتَ بَنِـــي عَبَـــادٍ وَبَعـــضُ الْقتـــل أَشْفـــَى لِلصـــُّدُورِ

وَهَمَّـــامَ بْـــنَ مُـــرَّةَ قَـــدْ تَرَكْنَـــا عَلَيْـــهِ القُشْـــعُمانِ مِـــنَ النُّســـُورِ

يَنُـــوءُ بِصَـــدْرِهِ وَالرُّمْـــحُ فِيـــهِ وَيَخْـــلُجُهُ خِـــدْبٌ كَالْبَعِيـــرِ

الواضح من الأبيات أن الشاعر يعتد بذاته شجاعة وقتلاً للأعداء، إذ يفخر "بتركه بجيراً في دم مثل العبير"، فهو بهذا القتل قد هتك بيوت بني عباد، وفي هذا القتل شفاء لنفسه المكسورة من فقد كليب، ويفخر كذلك بقتلهم لهمام بن مرة، وتركه طعاماً للنسور يقلبونه حيث شاءوا، غير أن الواقع وقراءة الأبيات من الجانب الآخر يوحي جلياً أن المهلهل يخفي ويكبت تحت هذا الاعتداد بالقتل ألمه وحزنه على مقتل كليب، وكأنه يقول ضمناً: أن قتل كل هؤلاء لا يعوض دم كليب، فهو شاعر تماماً مقدار الخسارة، ولهذا رأينا أن الجزء الأكبر من ديوانه هو إصرار على الثأر من جانب، وتعداد لكثرة قتلى الأعداء من جانب آخر.

وفي أبيات أخرى له يقول بعد أن سُقي خمراً وطابت نفسه، وهو بعيد عن أهله وقومه، فتغزل وافتخر بما كان عليه وتذكر أخاه (القوّال، 1995: 59):

طِفْـــلَةٌ مَـــا ابْنَـــةُ الْمُجَـــلِّلِ بَيْضـــَا ءُ لَعُـــــوبٌ لَذِيـــــذَةٌ فِـــــي الْعِنَـــــاقِ

فَاذْهَبِـــــي مـــــا إِلَيْـــكِ غَيْـــرُ بَعِيـــدٍ لا يُـــؤَاتِي الْعِنَـــاقَ مَـــنْ فـــي الْوِثَـــاقِ

ظبيـــــةٌ مـــــنْ ظِبـــاءَ وَجـــرَةَ تعطـــو بيـــــــديها فـــــــي ناضِـــــــر الأوراقِ

ضَـرَبَـــتْ نَـحْـرَهـــا إِلَـــيَّ وَقَـــالَتْ يـــــا عَدِيّـــاً لَقَـــدْ وَقَتْـــكَ الْأَوَاقِـــي

ظاهر الأبيات نجد أن المهلهل يصف تغزله بابنة المجلل آسره، لكن الواقع غير ذلك؛ فتحت هذا الغزل كبت لمشاعر الحزن الذي هو فيه بين يدي الآسر، فهو يعاني ما يعانيه جراء تراكم الخسارات في حياته بدءاً من فقد أخيه وانتهاء بوقوعه أسيراً ذليلاً لا يملك أمر نفسه، فهو عبر عن معاناته بالغزل، فغزله ليس حبّا خالصًا، بل تعويض عن

حزنه المكبوت، إذ اخفى فجيعته بتوجيه مشاعره اتجاهاً معاكسًا تمثل بالتغزل بامرأة الآسر، فهو بهذا التغزل كبت حزنه من ناحية، وأشهر بسمعة آسره ومكانته بين قبيلته من خلال الطعن بزوجته من ناحية أخرى.

2-**الإنكار**: آليه أخرى من آليات الدفاع النفسي ودفع شعور الانكسار والألم النفسي عن صاحبه لدرجة أن الشخص المتألم من الحدث أو الحالة لا يحاول دفع الألم بصورة جزئية مثل كبتها أو الإعلاء عليها، بل ينكر هذا الألم والحالة والحادثة انكاراً كليًا، وهذا ما لاحظناه عند قراءتنا لتعريف الانكار عند أهل اللغة و الاصطلاح، إذ عُرف الانكار في اللغة على أنّه: النفي، أو الرفض أو التجاهل بالشيء (ينظر: الزبيدي ،مادة : نكر)، وهو كذلك((الجحود... والمناكرة: المخادعة والمراوغة)) (الزبيدي، مادة :نكر)، وهو بهذا عكس القبول بالواقع والإقرار به، ويقال:((أنكرت الشيء وأنا أنكِره إنكارًا، ونَكِرته)) (منظور، مادة :نكر ، 1999) أي: رفضت الإقرار بصدق حدوثه ووقوعه.

ولا يختلف حدّ الإنكار عند أهل الاصطلاح عن أهل اللغة، وعُرف في علم النفس على أنّه: ((ميكانيزم دفاعي يبدأ منذ الطفولة المبكرة، فأنا الطفل البازغ يرفض أن يكون على وعي بواقع غير لاذ، وإنما يدير له ظهره بإنكاره ... وبقدر سوية الإنكار في الطفولة بقدر ما يكون علامة على مرحلة مستفحلة... في الحياة الراشدة فتحت وطأة فقدان مفاجئ لموضوع حبّ على سبيل المثال تقوم الأنا بإنكار الواقع بهذاء سار أو بحالة من المرح)) (الفتاح: 74)، فهو في ضوء هذا رفض لواقعة أو حقيقة معينة حصلت فعلاً، وخاصة تلك التي تسبب للفرد القلق، والانزعاج.

ولما كان الإنكار بهذا المفهوم فإنه يحدث غالباً عندما يتلقى الفرد خبر فقدان عزيز، وهذا ما حصل تماماً مع المهلهل حين وصله خبر مقتل أخيه على يد جساس، فأخذ ينكر الخبر والتصديق بالواقعة في أكثر من موضع في شعره؛ لمكانة كليب عنده وعند القبيلة عامة، إذ لم تكن قضية القتل عند الجاهلين مجرد فقدان شخص، بل يعد انتهاكاً لكرامة قبيلة بأكملها، وهذا ما جعلهم ينظرون إلى إنكار عملية القتل والأخذ بالثأر على أنّه:((استرداد لحقوق مستلبة، ووسيلة لعودة الموتور إلى الحياة بموجب الضوابط الاجتماعيّة التي جعلته يُحرّم على نفسه الاقتراب من المرأة، ويحرم على نفسه شرب الخمرة، والاغتسال والتطيب)) (الجبوري، 2018: 78)' ومثل هذه الأسباب وغيرها جعل من الموتورين يرفضون كل مساعي الصلح والقبول، والإقرار بحادثة القتل دون الأخذ بالثأر والتصديق بفقدان العزيز دون أي رد فعل تهدأ من حالته النفسية ويسترد به مكانته الاجتماعيّة، فالإنكار وفق هذا كله رد فعل نفسي أولي قبل أن يبدأ الموتور بالعمل الفعلي وإراحة النفس من خلال الأخذ بالثأر، فالثأر عنده ((بمثابة محاولة لرأب الصدع الذي أصاب تلك النفوس بسبب الحادث)) (يوسف، 1988: 95) ، فالموتور إن لم ينكر ولم يثأر من أعدائه عُدّ نجساً، فلا يطهر إلا بالأخذ بالثأر، ومن أجل هذا كانوا لا يغسلون أجسادهم حتى الأخذ به (ينظر: سويلم، 1987: 56) ، ولعل هذا هو السبب المنطقي لإنكار المهلهل مقتل أخيه والسبب الرئيس على إنكاره وعدم تصديقه لحادثة القتل وإصراره على الثأر وعدم قبول الديّة بأي شكل من الأشكال، فنجده في مواضع عدة يصرح بعدم تصديق موت كليب وينكر مقتله على وجه

الحقيقة؛ لمكانة كليب وزعامته للقبيلة، وشجاعته وفروسيته، وخوف الآخرين منه أوقات السلم والحرب، فيقول مهددًا آل بكر ومنكراً قتل أخيه بلغة مليئة بالحزن والأسى (القوّال، 1995: 50-51):

لَمَّـــا نَعَـــى النَّـــاعِي كُلَيْبـــاً أَظْلَمَـــتْ ... شَمْـــسُ النَّهَـــارِ فَمـــا تُرِيـــدُ طُلُوعـــا

قَتَـــلُوا كُلَيْبـــاً ثُـــمَّ قَـــالُوا أَرْتِعُـــوا ... كَـــذَبُوا لَقَـــدْ مَنَعُـــوا الْجِيَـــادَ رُتُوعَـــا

كَـــلَّا وَأَنْصَـــابٍ لَنَـــا عَـــادِيَّةٍ ... مَعْبُـــودَةٍ قَـــدْ قُطِّعَـــتْ تَقْطِيعَـــا

حَتَّـــى أُبِيـــدَ قَبِيـــلَةً وَقَبِيـــلَةً ... وَقَبِيـــلَةً وَقَبِيلَتَيْـــنِ جَمِيعَـــا

وَتَـــذُوقَ حَتْفـــاً آلُ بَكْـــرٍ كُلُّهـــا ... وَنَهُـــدَّ مِنْهَـــا سَمْكَهَـــا الْمَرْفُوعَـــا

حَتَّـــى نَـــرَى أَوْصَالَهُـــمْ وَجَمَـــاجِماً ... مِنْهُـــمْ عَلَيْهَـــا الْخَامِعَـــاتُ وُقُوعَـــا

وَنَـــرَى سِبَـــاعَ الطَّيْـــرِ تَنْقُـــرُ أَعْيُنـــاً ... وَتَجُـــرُّ أَعْضَـــاءً لَهُـــمْ وَضُلُوعَـــا

وَالْمَشْـرَفِـــيَّةَ لَا تُعَـــرِّجُ عَنْهُـــمُ ... ضَرْبـــاً يَقُـــدُّ مَغَافِـــراً وَذُرُوعَـــا

وَالْخَيْـــلُ تَقْـــتَحِمُ الْغُبَـــارَ عَوَابِســـاً ... يَـــوْمَ الْكَرِيهَـــةِ مَـــا يُـــرِدْنَ رُجُوعَـــا

إن الإنكار واضح في أبيات المهلهل هذه فلا يصدق نبأ مقتله، لدرجة أنه يرى أن شمس النهار لا تريد طلوعاً لهذا الجلل العظيم، فهو ليس وحده ينكر هذه المصيبة، بل يشاركه الكون في الإنكار، فالشمس نفسها ترفض التسليم بالواقعة، فعقله لا يستوعب تمامًا موت شخصية قائدة مثل كليب، فلا خصب ولا ارتياع ينفع بعده، ولا حياة، فكليب عنده بمكان الآلهة في التقديس، فكيف وقد شوهت وقطعت؟!

إنّ مكانة كليب واضحة عنده حين يكرر اسمه في بيتين متتالين بلغة حزينة مرتبكة تدل دلالة واضحة على الانكسار النفسي عنده إلا أنه وبصورة لا شعورية ينكر مقتله حين يحاول الخروج من دائرة الحزن والانكسار إلى دائرة الشعور بالثأر والإصرار عليه، واسترداد الكرامة المنتهكة من الأعداء، ولما كان كليب بهذه المكانة عنده، فهو لا يكتفي بمجرد قتل القاتل، بل يريد قتل (قبيلة، وقبيلة، وقبيلة، وقبيلتين جميعاً)، ويذوقون كلهم ما ذاقه هو جراء القتل والفقد،

وهو في الوقت نفسه لا يقتل فحسب بل يصور أوصال الأعداء وجماجمهم في الأرض وعليها الضباع، واستعماله الضبع في هذا الموضوع نابع من إيمانه بخوف الجميع منه، فهو ((من الحيوانات التي لازمت مضامين الفزع والرعب؛ لأنها تذكر بالموت والنهاية التي تؤول إليها الحياة، وقد ضربوا به المثل في نبش القبور، وهي تدأب على هذه العادة مدفوعة بولع شديد بجثث الأموات والعبث بها)) (محمد، 2008: 220)، ولا يكتفي بالضبع وحسب على جثث القتلى، بل يصور سباع البرّ دون تحديد تنقر أعينَا، وتجرّ أعضاء الأعداد وضلوعهم، فسيفه لا يخطأ، وإن لبسوا المغافر والدروع، وكذلك يوظف خيول قبيلته في التهديد حيث يصورها خيول تقتحم الغبار عابسة في يوم الحرب وتأبى الرجوع دون إدراك الغاية، فالإنكار واضح من البيت الأول في القصيدة إلى آخر بيت، بل ويوظف الطبيعتين الصامتة والحية في إنكاره اللاشعوري للفاجعة وفقدان أخيه، ويدفعه هذا الإنكار بدوره إلى التهديد والإصرار على الثأر ومحاولة البحث عن شيء من الهدوء النفسي حين يتخيل أنه سيقتل جمعاً كبيراً مقابل أخيه، ويخيل كذلك جثث الأعداء ملقاة على الأرض وعليها الضباع والسباع.

وفي موضع آخر ينكر عملية القتل للأسباب ذاتها حين يشير إلى مكانة كليب وما كان يقدمه من خدمة جليلة للمجتمع بشكل عام والعشيرة بشكل خاص، إذ يقول (القوّال، 1995: 48–49) :

أَكُلَيْـــبُ إِنَّ النَّـــارَ بَعْـــدَكَ أُخْمِـــدَتْ وَنَسِيـــــتُ بَعْـــــدَكَ طَيِّبَـــــاتِ الْمَجْلِـــــسِ

أَكُلَيْـــبُ مَـــنْ يَحْمِـــي الْعَشِـــيرَةَ كُلَّهَـــا أَوْ مَـــــنْ يَكُـــــرُّ عَلَـــــى الْخَمِـــيسِ الْأَشْـــوَسِ

مَـــــنْ لِلأَرَامِـــــلِ وَالْيَتَـــــامَى وَالْحِمَـــــى وَالســـــــيِّفِ وَالرُّمْـــــــحِ الـــــــدَّقِيقِ الْأَمْلَـــــــسِ

إن توظيف آلية الإنكار الدفاعية واضحة في الأبيات ، فحين أراد المهلهل بيان مكانة أخيه لم يجد بدًّا غير انكار قتله عن طريق بيان هذه المكانة، فهو ينكر قتل أخيه عن طريق رمزية الثأر في الحياة الجاهلية آنذاك، حيث كان رمز للحياة الكريمة، فبمقتله انطفأت هذه الحياة ، وانقلبت حياته رأساً على عقب، إذ كان في لهو وشرب دائم والآن نسى هذه الطيبات، فكليب في نظره لا يمكن أن يغيب حتى لا يغيب هو عن الحياة التي كان يريدها، ثم يسأل سؤال العارف للجواب، أسئلة إنكارية بحتة (من يحمي العشيرة كلها، من لليتامى والأرامل، من للسيف والرمح)، فهو يعرف تماماً ألّا أحد غير أخيه كان لهذه المهمات الصعبة، وهذا هو جوهر الإنكار عنده، فالمهلهل مدركُ تماماً أن موت كليب ليس بالحدث السهل، بل بقتله ستختل موازين الحياة عنده وعند القبيلة أجمع، ولهذا كله رأيناه لا ينطق إلا حزناً وألما، محاولاً جهده في تجاوز هذا الحزن والألم عند طريق الإنكار اللاشعوري.

ويجدد دفاعه النفسي عن الذات المنكسرة والحزينة على الفقد حين يقوم بوصف شجاعة كليب، وكيف أنه كان يقتل الفرسان في ساحات الوغى وهم في أوج الاستعداد للقتال، وليس هذا فحسب، بل إنّه يقاتل الكتائب ويضربهم ضرباً

متتابعاً، ويؤكد صفات القوة عند فقيده إذ كان شديد الخصومة والحِدّة، وذا لسان بليغ، ويشبهه بالحية التي لا تنفع معها أية رقية، إذ يقول (القوّال، 1995: 61):

وَكُـلَيْـــبٍ شُـــمِّ الْفَـــوَارِسِ إِذْ حُمْـــ مَ رَمَـــــاهُ الْكُـمَـــــاةُ بالإفـــــاقِ

فـــارس يضـــربُ الكتيبـــة بالسّـــيفِ دراكـــــاً كلاعِـــــبِ المخـــــراقِ

إِنَّ تَحْـــتَ الْأَحْجَـــارِ حـــدّاً وَلِينـــاً وَخَصِـيـمـــاً أَلَـــدَّ ذَا مِـعْـــلَاقِ

حَـــيَّةً فـــي الْوَجَـــارِ أَرْبَـــدَ لا تَـــنْ فَـــعُ مِنْـــهُ السَّلِيـــمَ نَفْثَـــةُ رَاقِ

يتحدث المهلهل عن كليب وكأنه حي يرزق فهو يقتل الفرسان ويضرب الكتيبة، وإن كان تحت الأحجار، فهو خصم قوي وعنيد سلاحاً وبلاغة، وهو حية لا تنفع مع لدغته أية وسائل الشفاء من رقية وغيرها، وكل هذه الصفات لا تنفع أن تكون لشخص ميت، بل لحي بطل شجاع، فالمهلهل وظف كل هذه الصفات لينكر حقيقة موت كليب ويخفف عن ذاته آلام الفقد القاسية، ويعيد لنفسه التوازن المفقود بعد أن قُتل أخاه غدرا، وكثيراً ما تكرر الإنكار عند المهلهل (ينظر: القوّال، 1995: 30، 31، 40 ، 46 ، 57 ، 65 ، 69 ، 71)، ولعل من أبرز الأمثلة وأكثرها ملائمة لإنهاء الحديث عن هذه الآلية ما جاء على لسانه حين رفض هو وقومه دعوات الصلح من مرة بن ذهل بن شيبان حين قدم لهم أبناءه الموجودين ليختاروا من يقتلونه بصاحبهم، أو أن يقبلوا بالديّة التي حددت بألف ناقة سوداء الحدق (ينظر: الجزري، 1997: 477/1– 478) ، فرفضوا ما قدم وقالوا: ((لقد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب)) (الجزري، 1997: 478/1) ، فالمهلهل وأهله لا يقرون بموت كليب نفسياً؛ ولهذا نجدهم جعلوا من إحياءه شرطاً من شروط الصلح والسلم، فالطلب مستحيل لا يمكن تحقيقه بأي شكل من الأشكال، وبهذا يكون الطلب نوعاً من أنواع الدفاع النفسي ضد ما يعانوه من انهزام وانكسار نفسيين، فالإصرار على الثأر هنا ليس إلا محاولة لتهدئة النفس من المهلهل وأهله، فنجده يقول ناكراً ورافضاً موت كليب طالباً إحياءه (القوّال، 1995: 63–64):

ذَهَـــبَ الصـــلْحُ أَوْ تَـــرُدُّوا كُلَيْبـــاً أَوْ تَحُـــلُّوا عَلَـــى الْحُكُومَـــةِ حَـــلَّا

ذَهَـــبَ الصـــلْحُ أَوْ تَـــرُدُّوا كُلَيْبـــاً أَوْ أُذِيـــقَ الْغَـــدَاةَ شَيْـــبَانَ ثُكْـــلا

ذَهَـــبَ الصـــلْحُ أَوْ تَـــرُدُّوا كُلَيْبـــاً أَوْ تَنَـــــالَ الْعُـــــدَاةُ هَوْنـــــاً وَذُلَّا

ذَهَـــبَ الصـــلْحُ أَوْ تَـــرُدُّوا كُلَيْبـــاً أَوْ تَـــذُوقُوا الْوَبَـــالَ وِرْداً وَنَهْـــلا

ذَهَـــبَ الصـــلْحُ أَوْ تَـــرُدُّوا كُلَيْبـــاً أَوْ تَمِيـــلُوا عَـــنِ الْحَلائِـــلِ عُـــزْلا

أَوْ أَرَى الْقَتْـــلَ قَـــدْ تَقَاضـــى رِجَـــالاً لَـــمْ يَمِيـــلُوا عَـــنِ الســـقَّاهَةِ جَهْـــلا

ففي الأبيات تظهر آلية الإنكار كأداة دفاع نفسي بشكل واضح، فالمهلهل يكرر في كل بيت إعادة كليبًا حيًّا، وهو يدرك تماماً أنّ هذا الطلب مستحيل، لكنه بهذا الطلب يحاول تهدئة نفسه فهم إن لم يستطيعوا إحياءه فأمامهم حلول أخرى من شأنها أن تهدئ نفسه المنكسرة بفقدان أخيه، ألا وهو الاستسلام الكامل، والإذلال التام، والابتعاد عن الحلائل، وكل هذه الخيارات كان من المستحيل ان يرضى بها العربي آنذاك، وهذه المستحيلات إنكار للمواقع، إنكار للهزيمة، إنكار للعجز من أخذ الحق ، وإصرار على استرداد المكانة الاجتماعية من ناحية، ودفع الشعور بالانهزام من ناحية أخرى.

3-التعويض: جاء التعويض بمعنى : دفع العوض، والعوض : بمعنى البدل والمقابل، ونقول : عوّضتُه تعويضاً: أعطيته بدلا عما خسر (ينظر: منظور، 1999، مادة :عوض)، وجاء عند جميل صليبا في كتاب المعجم الفلسفي بالمعنى ذاته ((تعويض الرجل من الشيء اعطاؤه بدلا منه ، وأساس التعويض التوازن والمساواة، فأما أن تحذف من الزائد، وأما أن تضيف إلى الناقص لتحقيق المساواة بينهما)) (صليبا، 1982: 309/1)، ولم يختلف المعنى عند علماء النفس كثيراً، فالتعويض عندهم ((حيلة من حيل التوافق تلجأ إليها الشخصية أو (النفس البشرية أو الأنا) بشكل شعوري أحياناً، وبشكل لا شعوري أحيانًا أخرى، وأحياناً أخرى تجمع بين الشكلين ، وتلجأ الشخصية إلى هذه الحيلة حين تحس نقصاً في جانب فتريد تعويض هذا النقص والتغلب عليه بتقوية جانب آخر، أو حين تحس بالحرمان من نوع معين من الإشباع فتفرط في نوع آخر من الإشباع؛ لكي تعوض اللذة المتاحة، وتقهر ألم الحرمان من الإشباع المستعصي)) (الفتاح : 130) ، وفي ضوء هذا يعد قانون التعويض مرادفا ((لقانون الأعداد الكبرى، الذي ينتهي دائما إلى إبراز تأثير الأسباب المطردة والدائمة، والإقلال من شأن الأسباب غير المطردة والعرضية)) (صليبا، 1982: 309/1)، والتعويض نوعان: الأول منه يسمى التعويض المعتدل، والذي يعد نزعة طبيعية في نظر(ادلر)، بل عده أداة لتحقيق وتأكيد الذات، أما الثاني فهو التعويض الزائد حيث تمعن الشخصية الإنسانية في استخدام حيلة التعويض وتشتد في نشاطها التعويضي في أمر معين (ينظر: الفتاح : 130-131).

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول أن التعويض: حيلة من حيل الدفاع النفسية يلجأ إليها الفرد بهدف إزالة توتر معين أصابه، أو نقص أستشعر به لأي سبب كان وأخل توازنه، فيحاول جاهدا ملئ هذا النقص أو التوتر بشيء بديل يشغل مكان المفقود، ولما كان ألم المهلهل عظيماً والذي تمثّل بمقتل أخيه كليب ومكانته في نفسه ونفس قومه، أصبح

التعويض عنده متنفساً سلوكياً، ونفسياً، واجتماعياً، وحاول من خلاله التنفيس عن الذات وذلك بقتل أكبر عدد ممكن من الأعداء والتشفي بقتلهم تعويضًا عن عجزه عن إحياء أخيه أو نسيان وجع فقده، فاسترداد الكرامة عنده لا يتم إلا بإهلاك الأعداء جميعاً، فألمه تحول إلى عمل انتقامي بحت، فهو إلى جانب انكساره النفسي والضغط الداخلي محكوم بـ ((معايير اجتماعية لها التأثير البالغ في الرفع من شأن الفرد أو الجماعة حين يحيد تطبيق تلك القيمة، وتنزل عليه ألسنة الشعراء باللوم والعقاب أو الهجاء)) (بعيو، 2001: 27) ، فالثأر والتشفي بالقتل، ومحاولة التعويض عنده لازمة اجتماعية ونفسية، فهموم المهلهل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمكانة كليب، وهذا ما جعلنا نقف على نماذج كثيرة في ديوانه يعوض فقده ويتشفى بقتل الأعداء ثأراً لأخيه ، فيقول في أحد المواضع عن إكثاره في قتل بني بكر (القوّال، 1995: 24):

أَكثَـــرْتُ قَتْـــلَ بَنِـــي بَكْـــرٍ بِـــرَبِّهِمِ حَتَّـــى بَكَيْـــتُ وَمَـــا يَبْكِـــي لَهُـــمْ أَحَـــدُ

آلَيْـــتُ بِـــاللهِ لَا أَرْضَـــى بِقَـــتْلِهِمِ حَتَّـــى أُبَهْـــرِجَ بَكْـــراً أَيْنَمَـــا وُجِـــدُوا

إنّ التعويض واضح عند المهلهل، فإكثاره في القتل نابع مما يقاسيه من ألم وحزن وانكسار، إذ لم يجد مخرجاً من هذا الشعور إلا القتل الجماعي للأعداء، ويبالغ في قتله لدرجة أنه هو الذي يبكي عليهم من كثرة قتلاهم، ولا يرتضي بالقتل وحسب (لا أرضى بقتلهم)، بل يزيد على ذلك أنّه يجعلهم كالنقود الزائفة التي تردّ، فهو بهذا كله يحاول تهدئة نفسه بطريقة لا شعورية ويحاول إذاقة الأعداء ما ذاقه هو من مرارة الفقد الموجع، وهذا كله حاجة نفسية ملحة يجب الوصول إليه لاسترداد الكرامة المنتهكة من قبل الأعداء.

ويقول في موضع آخر محاولا تعويض ذاته المنكسرة من خلال فخره بقتله الكثير من آل بكر (القوّال، 1995: 24):

لَـــوْ كُنـــتُ أَقْتُـــلُ جِـــنَّ الْخَـــابِلَيْنَ كَمَـــا أَقْتُـــلُ بَكْـــراً لَأَضْـــحَى الْجِـــنُّ قَـــدْ نَفِـــدَا

إن محاولة تعويض المهلهل لجرحه النفسي العميق واضح جدا فهو بكثرة قتله لآل بكر يدعي لو أنّه قتل بهذا العدد الجن لنفدوا، وفي هذا الوصف المبالغ إرواء للنفس المنكسرة والمتعطشة للثأر، وهو بكل هذا يحاول تعويض ولو جزء بسيط من مكانة كليب عنده، وما تركه فقده من أثر عميق في نفسه.

ويكثر عنده صيحات قتل الكثير من آل بكر، فيقول بشفاء نفسه بقتلهم (القوّال، 1995: 26):

شـــفيت الـــنّفس مِـــن أبنـــاء بَكـــرٍ وَحطّـــت بَركَهـــا ببنـــي عبـــادِ

إنّ المهلهل هنا في صراعه النفسي لا يقتصر فعله على قتل أبناء بكر وحسب، بل شمل محاولات تعويض ذاته ممّن يقربون لبكر وهم بني عباد، وهو بكل هذا يحاول معالجة آلامه النفسية من خلال قتل أكبر قدر ممكن، إذ يحول ألمه وحزنه وضعفه إلى فعل القتل الذي يمنحه شعوراً ببعض الراحة النفسية.

ويؤكد شفاء نفسه في موضع آخر حين يصرح بقتله من يقرب لآل بكر سواء كانوا أعماماً أو أخوال (القوّال، 1995: 71):

قَــدْ شَفَيْــتُ الْغَلِيــلَ مِــنْ آلِ بَكْــرٍ آلِ شَيْبَــانَ بَيْــنَ عَــمٍّ وَخَــالِ

ولمكانة كليب الاجتماعية عند القبيلة، ومكانته الخاصة عند المهلهل نجده يكثر نداءات شفائه وتعويض فقد كليب بقتل الأعداء فهو وإن كان عاجزاً عن استرجاع أخيه على وجه الحقيقة، ولكنه قادرا على التغلب على آلام ذاته عن طريق الانتقام، والقتل، فيقول عن يوم الذنائب، وكيف شفى نفسه (القوّال، 1995: 49):

وَلَقَــدْ شَــفَيْتُ النَّفْــسَ مِــنْ سَــرَوَاتِهِمْ بِالسَّــيْفِ فِــي يَــوْمِ الــذُّنَيْبِ الْأَغْــبَسِ

إِنَّ الْقَبــَائِلَ أَضْرَمَــتْ مِــنْ جَمْعِنَــا يَــوْمَ الذَّنَــائِبِ حَــرَّ مَــوْتٍ أَحْمَــسِ

ولا يقتصر الشفاء على المهلهل فحسب، بل إن كثرة القتل من الأعداء من شأنها أن تشفي القوم أجمع، فهم بهذا القتل المتجدد عوضوا نفسيا فقد كليب، وكأنهم بها أدركوا غايتهم وصار هذا القتل فعلا بديلاً ضرورياً بحيث أعطاهم وهمًا بالانتصار النفسي، وهذا ما جعل كليبا يردد صيحات الشفاء كثيرًا (القوّال، 1995: 49 ، وللاستزادة ينظر :75 ، 79 ، 81 ، 84):

شَفَيْــتُ نَفْسِــي وَقَــوْمِي مِــنْ ســرَاتِهِمْ يَــوْمَ الصِّعَــابِ وَوَادِي حَارَبِــي مَــاسِ

مَــنْ لَــمْ يَكُــنْ قَــدْ شَــفَى نَفْســاً بِقَتْلِهِــمْ مِنِّــي فَــذَاقَ الَّــذِي ذَاقُــوا مِــنَ الْبَــاسِ

ومن هذا التكرار الكثير لصيحات الشفاء بالقتل ندرك جلياً كيف من شأنه أن يخفف عن المكلوم الجرح والفقد، فالمهلهل هنا يعوض الألم النفسي بقتل الأعداء، فالقتل عنده وسيلة للراحة النفسية، بل راحة نفسية لمن شاركه الحرب وآلام الفقد وعاش جراحات عميقة مثله.

4- التبرير: عرف التبرير على أنّه ((ظاهرة نفسية تقوم على التجاء الإنسان في حياته الشعورية إلى انتحال أسباب مزيفة لتبرير موقف أو تصرف معين ليخفي عن ضميره الأسباب المنطقية الاجتماعيّة لبعض مظاهر التعبير اللاشعوري سواء أكان في قالب أفكار أو أفعال أو آراء)) (الخازن : 123)، وهو في ضوء هذا يعني ((محاولة الفرد إعطاء أسباب مبررة لسلوكه بشكل معين تستهدف بالدرجة الأولى إقناع نفسه بصواب مسلكه، وهي بهذا ... وسيلة دفاعية ترمي إلى محافظة الفرد على احترامه لنفسه وتجنبه لشعور الأثم، وتعطيه الشعور بأن ما قام به قد جاء بناء على تفكير إرادي منطقي معقول مع أنه جاء في الواقع استجابة لدوافع غير واعية)) (كمال، 1967: 74)، فالتبرير إذًا واحدة من أهم العمليات اللاشعورية؛ وذلك لتدخله في كل عملية لا شعورية أخرى تقريباً (ينظر: الخازن : 123)،وبمعنى أوضح هو ((عملية لا شعورية تدفع المرء دون شعور منه إلى تكوين أسباب لا حقيقة لها، يدافع بها عن عمل أو فكرة دفعه إليها اللاشعور في الواقع)) (الخازن:123)، ويلجأ إليها الفرد في الدفاع عن النفس في قضية معينة، أو حادثة تحصل وتعد من المعايب التي يؤاخذ عليها الفرد، فيبدأ بانتحال أسباب يراها معقولة في نظره، أو لما صدر عنه ((من سلوك خاطئ أو معيب، أو لما يحتضنه من آراء ومعتقدات وعواطف ونيات حين يسأله الغير أو يسائل نفسه)) (راجح، 1968: 476-477)، وهو بهذا تقديم أعذار تبدو مقنعة، لكنها ليست الأسباب الحقيقية على أرض الواقع، ولما كان التبرير بهذه المعاني فيجب التمييز بين التبرير والكذب، ففي الكذب ((يدرك الفرد السبب الحقيقي لسلوكه، لقتله مثلاً، لكنه يتعمد التحريف، فالكذب محاولة مقصودة لخداع الغير لا تتضمن خداع الذات، أما في التبرير فيعتقد الفرد ويؤمن بأن ما يقوله هو الحق، فجوهر التبرير خداع الذات ،وقد يؤدي أو لا يؤدي إلى خداع الغير)) (راجح، 1968: 477).

وللتبرير صور عدة(ينظر: راجح، 1968: 477)، ولكننا نقصر الحديث هنا عما سبب لشاعرنا القلق البالغ الذي دفعه إلى أن يبرر أفعاله تجاه أبناء عمومته (بني بكر)، إذ كان التبرير في موقف المهلهل وكثرة قتله من أبناء بكر حتمية لا بدّ منها، فهو يرى أنهم قتلوا أخاه غدرا، فحال هذا الأمر إلى مشروع انتقامي جماعي، وهذا الانتقام الجماعي ردّ على الظلم الذي لحق بأخيه، وبتبريره يخفف عن ذاته الشعور بالذنب، والوحشية وقتله الكثير، فهو يرى هذا القتل عدالة وحفاظا على كرامة انتهكت لا انتقامًا شخصيا، إذ يقول في مكانة كليب وتبرير قتله الكثير (القوّال، 1995: 27):

كُـلُّ قَتِيـلٍ فِـي كُلَيْـبٍ غُـرّة حَتَّـى يَنَـالَ الْقَتْـلُ آلَ مُـرّة

في البيت تبرير واضح للانتقام والثأر، فهو لا يراه انتهاكًا وعدوانا، بل مبررًا على الغدر والخذلان من أبناء العمومة، فكلهم ليس بكفء لكليب، إنما هم بمنزلة العبيد أو الإماء، إنما الكفء والمقابل آل مرة أجمع.

ويبرر موقفه الانتقامي في موضع آخر حين يرى أن بني بكر وعدوانها تجمّع وتجسّد في جساس ورهطه بقتلهم كليبًا دون وجه حق، إذ يقول(القوّال، 1995: 53 -54):

جَـــارَتْ بَنُـــو بَكْـــرٍ وَلَـــمْ يَعْـــدِلُوا وَالْمَـــرْءُ قَـــدْ يَعْـــرِفُ قَصـــدَ الطَّرِيـــقْ

حَـــلَّتْ رِكَـــابُ الْبَغْـــيِ مِـــنْ وَائِـــلٍ فِـــي رَهْـــطِ جَسَّـــاسٍ ثِقـــَالِ الْوُســـُوقْ

يَـــا أَيُّهَـــا الْجَانِـــي عَلَـــى قَـــوْمِهِ جنايـــــة لـــــيس لهـــــا بـــــالمطيقْ

جِنَـايَـــةً لَـــمْ يَـــدْرِ مَـــا كُنْهُهَـــا جَـــانٍ وَلَـــمْ يُصبْـــحِ لَهـــا بـــالخليقْ

كَقَـــــاذِفٍ يَـوْمـــــاً بِأَجْـــــرَامِهِ فِـــي هُـــوَّةٍ لَيْـــسَ لَهَـــا مِـــنْ طَرِيـــقْ

مَـــنْ شـــَاءَ وَلَّـــى النَّفْـــسَ فِـــي مَهْمَـــهٍ ضَنْـــكٍ وَلَكِـــنْ مَـــنْ لَـــهُ بِالْمَضِيـــقْ

إِنَّ رُكُـــوبَ الْبَحْـــرِ مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ ذَا مَصْـــدَرٍ مِـــنْ مهْلِكَـــاتِ الْغَرِيـــقْ

إن في الأبيات تبرير واضح للإصرار على الثأر وكثرة قتل الأعداء وشفاء النفوس بقتل أكبر عدد ممكن؛ ذلك لأن الخصم هو المسؤول عن بدأ شرارة الحرب بقتل سيد القبيلة غدراً دون وجه حق ، وهذا واضح من المفردة الأولى (جارت)، فهي بداية مباشرة تحمّل العدو الظالم المسؤولية، ويؤكد بداية هذا الظلم في البيت الثاني كذلك (حلت ركاب البغي)، فالتعدي واضح للجميع ويكون الإصرار على الثأر واجب حتمي على الشاعر وأهله، وبهذا العدوان الواضح يبرر المهلهل فعله الانتقامي ويعده إشباعاً لحاجاته الذاتية تجاه من سولت نفسه بالاعتداء عليه من باب العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم، فبالثأر خفف ((من وطأة الإحساس بالألم الذي أحس به، وبرّأ نفسه مما يمكن أنا يتهم به من ضعف)) (فرحان، 2019: 152)' انطلاقاً من اعتقاده أن ((تركه لثأره هو سمة من سمات الضعف والخور والعجز الذي يفقده صفة الرجولة)) (الجبوري، 2018: 76) ، وهذا كله جعل المهلهل وأهله يرفضوا كل دعوات الصلح، فالجناية عظيمة ورد الفعل يجب أن يكون مساويا لعظم الفعل، فالعدو هو الذي ألقى بنفسه للتهلكة ، فالأبيات بمجملها تبرير جاد لفعل الثأر وكثرة القتل من الأعداء. ويستمر الشاعر في تبريره المنطقي لعمله الانتقامي وجبر كسره النفسي وألمه العظيم حين يوازن بين ظلم كليب وظلم الآخر العدو موازنة يبين فيها شدة اعتداء العدو عليه بقتله غدرا دون جرم واضح، إذ يقول (القوّال، 1995: 54):

لَيْـــسَ امـــرؤ لَـــمْ يَعْـــدُ فِـــي بَغْـــيِهِ غـــدا بـــه تَخْرِيـــقُ رِيـــحٍ خَرِيـــقْ

كَمَـــــنْ تَعَـــــدَّى بَغْـــــيُهُ قَـــــوْمَهُ طَـــــارَ إِلَـــــى رَبِّ اللِّـــــوَاءِ الْخَفُـــــوقْ

إِلَـــــى رَئِيـــــسِ النَّـــــاسِ وَالْمُرْتَجَـــــى لِعُقْـــــدَةِ الشـــــدِّ وَرَتْـــــقِ الْفُتُـــــوقْ

في الأبيات تبرير واضح لردة الفعل المرتقبة المتمثلة بالثأر والمطالبة بالدم، فالعدو بدأ الجريرة وعليه أن يتحمل نتائج فعله، فهم قتلوا من كان يحمل على القوم القتال ويصلح الأحوال، وهو الذي ضرب به المثل في العز: ((أعز من كليب)) (الميداني :42/2)، فالقتيل رئيس وليس مجرد فرد عادي، وهذا ما يجعل الأزمة تتفاقم فلا أحد يوازيه في المكانة الاجتماعيّة ويقتل مقابل دمه، فالبيئة الاجتماعية حتمت عليه أن يكون ملتزماً بما آمن به الفكر الجمعي، إذ إن الثأر أمر لا بدّ منه في ظل غياب السلطة المركزية، وأمام هذه الحتمية ((لم تكن القرابة الآصرة لتحول بين الأكثرين وبين الاشتفاء بالثأر من أقاربهم)) (الحوفي، 1952: 212) ، فقرار الثأر في ضوء هذه الحتميات أمر لا يمكن التساهل فيه، وهذا ما جعل المهلهل يصر على الثأر ويعلي صيحات التشفي تخفيفاً على الذات المكلومة من فقد كليب.

وبعد بيان الطرف المعتدي وعظم الجرم الذي اقترفوه يتحول الثأر إلى بيان مكانة المقتول شجاعة، وقيادة، وحكمة (ينظر: القوّال، 1995: 54–55)، ثم لا يلبث أن يعود مجدداً ليبرر فعله الانتقامي فلا يقتل بكليب إلا مثله، ومن مثله وهو رئيس للقبيلة وسيدها! وحين لا يجد الموازي له في المكانة يرى بأن القتل يجب أن يشمل بني ذهل جميعا، فهم الذين شعلوا حرب عقوق تباعدت به الأرحام وانقطعت، وفي تأكيده على نوع القتل غدرًا، وما بين القاتل والمقتول من ترابط في الدم تبرير واضح للثأر والإصرار عليه، فهم لم يدع مجالًا للعفو؛ ((لأن ذلك يحمله تبعات اجتماعية تعدّ مذلة له)) (الجبوري، 2018: 84)، وهذا ما جعل أهل كليب يطردون زوجة كليب أخت جساس قاتل كليب من المأتم، إذ خاطبته جليلة أخت كليب ((يا هذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا)) (الأصفهاني: 67/5)، فعظم الجرح جعل وجود أخت القاتل في المأتم عارًا على أهل المقتول، فكيف إذاً بترك الثأر والعدول عنه، ومن هذا المنطلق نجد المهلهل يبرر فعله وإصراره على الثأر في كل موضع يذكر فيه كليب (القوّال، 1995: 56 – 58):

فَـــــذَاكَ لا يُـوفِـــــي بِـــــهِ غيـــــره وَلَســـــتَ يُلْقَـــــى مِثْـــــلَهُ فـــــي فَرِيـــــقْ

قُـــــلْ لِبَـنِـــــي ذُهْـــــلٍ يَـــــرُدُّونَهُ أَوْ يَصْـــــبِرُوا لِلصـــــيَّلَمِ الْخَنْفَقِيـــــقْ

فَقَـــــدْ تَـــــرَوَّوا مـــــن دم مُحـــــرم وانتهكـــــوا حُرمتـــــه مـــــن عقـــــوق

واستشـــعروا مـــن حربنـــا مأتمًـــا أثـــابهم نِيـــرَانَ حَـــرْبٍ عَقُـــوقْ

لا يُرْقَـــأُ الـــدَّهْرَ لَهَـــا عَاتِـــكٌ إِلَّا عَلَـــى أَنْفَـــاسِ نَجْـــلاء تَفُـــوقْ

تَنْفَـــرِجُ الظَّلْمَـــاءُ عَـــنْ وَجْهِـــهِ كَاللَّيْـــلِ وَلَّـــى عَـــنْ صَدِيـــحٍ أَنِيـــقْ

أَنّ امْـــرِأً ضَـرَّجْتُـــمُ ثَـــوْبَهُ بِعَـاتِـــكٍ مِـــنْ دَمِـــهِ كَالْخَـــلُوقْ

سَـــيِّدُ سَـــادَاتٍ إِذَا ضَـمَّهُـــمْ مُعْظَـــمُ أَمْـــرٍ يَـــوْمَ بُـــؤْسٍ وَضِيـــقْ

لَـــمْ يَـــكُ كَـالسَّـــيِّدِ فـــي قَـــوْمِهِ بَـــلْ مَـــلِكٌ دِيـــنَ لَـــهُ بِالْحُقُـــوقْ

إِنْ نَحْـــنُ لَـــمْ نَثْـــأَرْ بِـــهِ فَاشْـحَذُوا شِفَـارَكُـــمْ مِنَّـــا لَحِـــزِّ الْحُلُـــوقْ

ذَبْحـــاً كَذَبْـــحِ الشـــاَّةِ لا تَتَّقِـــي ذابِحَهـــا إِلّا بِشَخْـــبِ الْعُـــرُوقْ

تعد الأبيات هذه نموذجاً مكملاً ومتكاملا للأبيات السابقة عن آلية التبرير، فالمهلهل يبرر إصراره على الثأر على أنه نتيجة حتمية لأفعال الأعداء، فالثأر في مثل هذا النوع من القتل خيار لا مفر منه، فحين يكون إحياء الميت مستحيلا لا يبقى أمام الموتور إلا الانتقام وردّ الاعتبار، فالعدو هو الذي بدأ بسفك الدماء (فقد تروّا من دم محرِم)، فعليهم تقبل جزاء هذا الجرم، ويؤكد تبرير فعله (الثأر) إذ يرى أن المقتول ليس شخصاً عادياً (سيد سادات، لم يك كالسيد، بل ملك)، فهذا الدم لا يذهب سدى عند الشاعر ولا القبيلة، ويرى في عدم الثأر مذلة وعاراً متصلا بالوجود الفعلي فهم إن لم يثأروا يستحقون الذبح وحرمان الحياة، وهذا بدوره تبرير جديد، فإما العيش بكرامة وإما الموت ذبحًا ولا يموت ذبحًا إلا الذليل المنكسر غير القادر على الدفاع عن النفس، ولا يكتفي بذكر الموت ذبحًا، بل يشبه الذبح بذبح (الشاة) في طريقته الوحشية حيث شغب العروق وسيلان الدم، وفي هذا التصوير تأكيد وتبرير على أن الثأر حتمية لا بد منها، فالثأر في ضوء نظر الشاعر ضرورة لا قسوة، وفعل دام وليس ثأرًا رمزيًا.

ويستمر الشاعر في تأكيد تبريراته المنطقية، فيؤكد مرة أخرى أن ما كان بين بكر وتغلب من وشائج القربى والصداقة قد تقطعت، وهذا ما يجعل الثأر والإكثار في القتل أمر حتمي، إذ يقول متهددًا (القوّال، 1995: 58):

أَصبَـــحَ مَـــا بَيْـــنَ بَنِـــي وَائِـــلٍ مُنْقَطِـــعَ الْحَبْـــلِ بَعِيـــدَ الصـــدِّيقْ

غَـــداً نُسَاقِـــي فَاعْـــلَمُوا بَيْنَنَـــا أَرْماحَنَـــا مِـــنْ عَاتِـــكٍ كَـــالرَّحِيقْ

بكُـــلِّ مِغْـــوَارِ الضُّحَـــى فاتـــكٍ شَمَـــرْدَلٍ مِـــنْ فَـــوْقِ طِـــرْفٍ عَتِيـــقْ

سَعَالِيـــاً يحْمِـــلن مِـــنْ تَغْـــلِبٍ فتيـــان صـــدقٍ كَلُيُـــوثِ الطَّرِيـــقْ

لَيْـــسَ أَخُوكُـــمْ تَارِكـــاً وِتْـــرَهُ ولـــيس عـــن تطلابِكـــم بِالْمُفِيـــقْ

إنّ في الأبيات توظيف واضح للتبرير، فالمهلهل يرى في هذا التهديد والإصرار على الثأر واجب أخلاقي لا اعتداء سافر، فالعدو هو الذي بدأ بالجرم وعليه تحمل العواقب، فهو بهذا تارة يحول فعل الثأر إلى واجب أخلاقي للذات والقبيلة، فالأذى الذي لحق به ليس ((أذى فرديًا في عرف الجماعة إنما هو أذى لحق الجماعة كلها)) (ربايعة، 2010: 37–38)، وعليه أن يقوم بدوره على أتم وجه وفاء لشرف القبيلة كلها، وتارة أخرى يحاول الظهور بمظهر القوي غير المبالي للفقد والعجز والانكسار فالتهديد والإصرار عليه هو إثبات للهيبة وكذلك ضرورة وقائية لمنع تكرار الظلم الواقع على الفرد من باب ((ومن لا يظلم الناس يظلم)) (ثعلب، 2008: 35).

ولم يكن تبرير الإصرار على الثأر وكثرة قتل الأعداء النوع الوحيد للتبرير عند المهلهل، بل نراه يبرر حزنه العميق وانكساره الواضح من قتل كليب فهو يرى أن مثل كليب يجب ألّا يموت، وأن حزنه وانكساره لأمر طبيعي تجاه هذه الفاجعة الأليمة على الرغم من كره العربي بشكل عام أن يُرى مكسورا في ظل مجتمعه القيمي، ورغم إيمانه بعظم الفاجعة والمصيبة، وإن الضعف سمة في الإنسان منذ أن يولد، إلا أنه كان آمنًا ((أن اشتداد الضعف واتساع نطاقه يفضي إلى الانكسار والانهزام النفسي، والعجز عن أية مواجهة، وهذا ما لم يقبل به الفرد الجاهلي؛ لضوابط مجتمعه القيمية، والذي كان بمقدار الالتزام بها تكون مكانه الفرد الاجتماعيّة)) (فرحان، 2024: 11) ، وهذا ما جعلنا أن نقف على مواضع كثيرة يبرر فيها المهلهل حزنه وانكساره على كليب، فيقول واصفاً الحال بعد كليب (القوّال، 1995: 46–47):

نُبِّئْـــتُ أَنَّ النَّـــارَ بَعْـــدَكَ أُوْقِـــدَتْ وَاسْتَـــبَّ بَعْـــدَكَ يَـــا كُلَيْـــبُ الْمَجْلِـــسُ

وَتَكَلَّمُـــوا فـــي أَمْـــرِ كُـــلِّ عَظِـــيمَةٍ لَـــوْ كُنْـــتَ شَـــاهِدَهُمْ بِهَـــا لَـــمْ يَنْبِسُـــوا

أبنـــي ربيعـــة مـــن يقـــوم مقامـــهُ أم مـــن يـــردُّ علـــى الضـــريك ويحـــبسُ

وتلهّـــف الصـــعلوك بعـــدك أمّـــه لمـــا اســـتعال وقـــال أنّـــئ المجلـــسُ

وَإِذَا تَشَـــاءُ رَأَيْـــتَ وَجْهـــاً وَاضِـــحاً وَذِرَاعَ بَاكِيَـــةٍ عَلَيْهَـــا بُرْنُـــسُ

تَبْكِـــي عَلَيْـــكَ وَلَسْـــتُ لَائِـــمَ حُـــرَّةٍ تَـأْسَـــى عَلَيْـــكَ بِعَبْـــرَةٍ وَتَنَـــفَّسُ

إن في الأبيات تبرير واضح للحزن، إذ أن فقدان كليب جعل الأمور تضطرب، فوجوده كان الضابط للنظام، فهو لم يكن مجرد فرد عادي، بل زعيم وهيبة ومكانة لا يعوض بتاتاً، ولا يقوم أحد مقامه، ومحاولة التخفيف عن الذات لا يقتصر على بيان مكانة كليب عنده، بل يبرر حزنه أكثر حين يصرح بأن آلام الفقد جماعية وليست فردية، فالنساء تملكهن الحزن عليه من سلبهن الحياء فهن يظهرن سافرات الوجوه مكشفات الأذرع، وهذا الحرن الجماعي لم يأت من فراغ، بل لمكانة الفقيد، فلمثله يكون الحزن والأسى والتنفيس بالبكاء أمراً طبيعيا ومشروعاً.

ويقول في موضع آخر في مكانة كليب، ويبرر ما يمر به من حزن وانكسار تجاه هذا الأمر العظيم (القوّال، 1995: 91-92):

كُلَيْـــبُ لَا خَيْـــرَ فِـــي الـــدُّنْيَا وَمَـــنْ فِيهَـــا إِنْ أَنْـــتَ خَلَّيْتَهَـــا فـــي مَـــنْ يُخَلِّيهَـــا

كُـلَيْـــبُ أَيُّ فَتَـــى عِـــزٍّ وَمَكْرُمَـــةٍ تَحْـــتَ السَّفَاسِـــفِ إِذْ يَعْـــلُوكَ ســـَافِيهَا

.....

الْحَـــزْمُ وَالْعَـــزْمُ كانـــَا مِـــنْ طبائعـــهِ مـــَا كُـــلَّ آلائِـــهِ يـــا قَـــوْمُ أُحْصِيهـــا

النَّاحِـــرُ الْكُـــومَ مَـــا يَنْفَـــكُّ يُطْعِمُهـــا وَالْـــوَاهِبُ الْمِئَـــةَ الْحَمْـــرَا بِرَاعِـــيها

الْقـــائِدُ الْخَيْـــلَ تَـــرْدِي فـــي أَعِنَّتِهـــا زَهْـــواً إِذَا الْخَيْـــلُ بُجَّـــتْ فـــي تَعَادِيهـــا

.....

قَـــدْ كَـــانَ يَصْبِحُهَـــا شَعْـــوَاءَ مُشْعَـــلَةً تَحْـــتَ الْعَجَاجَـــةِ مَعْقـــُوداً نَوَاصِـــيها

تَكُـــونُ أَوَّلَهَـــا فِـــي حِيـــنِ كَرَّتِهَـــا وَأَنْـــتَ بِالْكَـــرِّ يَـــوْمَ الْكَـــرِّ حَامِيهَـــا

حَتَّـــى تُكَـــسِّرَ شَـــزْراً فِـــي نُحُورِهِـــمِ زُرْقَ الْأَسِـــنَّةِ إِذْ تُـــرْوَى صَوَادِيهَـــا

الواضح على الأبيات نبرة الحزن والانكسار على المهلهل، إلا أنه يبرر هذا الحزن والانكسار بتمجيد كليب وما كان يمتلكه من قيم البطولة، حين يرى أن لا معنى للحياة دون كليب، وإن مثل كليب حيّ بذكره، فمن كان مثله في الحزم، والعزم، والكرم، والشجاعة يحتّم على الآخرين أن يحزنوا عليه حزنًا يليق به، ففقد مثل كليب يستحق هذا الكم من الألم والوجع.

5 – التسامي: عرف التسامي على أنّه ((إحدى عمليات التوافق وأساليبه التي يلجأ إليها (الأنا) في حله الصراعات النفسية التي تقع فيها الشخصية وذلك بأن يقوم بتحويل طاقة واقع مدان من موضوع أصلي تريد أن توجه إليه إلى موضوع آخر بديل مقبول اجتماعيّاً)) (الفتاح: 116)، والتسامي قد يكون ((شعوريًا وعن إرادة، وغالباً ما تتم لا شعورياً، وتقوم على تغيير الموضوع بالنسبة للغريزة، وتحويل الطاقة المتصلة بالرغبات والدوافع الممنوعة ... إلى توجهات اجتماعية، وثقافية، وأخلاقية وفنية، وأدبية، وفكرية سامية ونافعة)) (الحفني، 2005: 1/156–157) ، وفي ضوء هذا يكون التسامي ((تسامياً بدوافع الفرد ومشاعره، وانتشالها من مستوى متدني بدائي إلى مستوى راقٍ متحضر)) (الفتاح : 116) ، وقد جاء في ديوان المهلهل الكثير من الأبيات التي تضج بالتسامي والعلو، إذ حول حزنه العميق وانكساره النفسي على فقد كليب إلى سلوك آخر نشط يتمثل بالاعتداد بالذات شجاعة من خلال الإصرار على الثأر وكثرة قتل الأعداء ايماناً بأن هذا الفعل ليس ناتجاً من الحزن ،والانكسار بل تحقيقاً للعدالة واستعادة الكرامة والمكانة الاجتماعيّة المنتهكة، ومن نماذج التسامي ما قاله حين اعتد بذاته وتعالى عن الألم والانكسار وحوله إلى تمثيل رمزي للعدالة والشجاعة والأخذ بالثأر إذ يقول (القوّال، 1995: 47–48):

ولقـــد ســـبقْتُ ســـراتهم فـــي مـــأزقٍ والخيلُ تعثرُ في القَنا وتعبّسُ

وتركـــتُ جسّاســـاً ينـــوء بصـــعدةٍ سمراء يقدمها سنانٌ مدعسُ

أكليـــبُ لـــو حُـــدّثت كيـــف عُقـــوبتي عَلمِت عِظامُكَ إذ عَلاها المرمسُ

أن لســـتُ زيـــراً حـــين شُـــب وقودهـــا في الحرب يوم عِنانُها لا يُسلسُ

فالمهلهل في هذه الأبيات لا يعتد بفعل القتل لذاته، بل يحوله إلى فعل اجتماعي مقبول، فهو يقتل وفاء لدم أخيه المفقود، وذلك واضح حين يستحضر كليباً ويحاوره وهذا يعطي فعل القتل بعداً نفسياً لدى الشاعر، فهو بهذا كله يتسامى، ويحوّل الحزن إلى سلوك بطولي ومشرّف اجتماعيّاً، فالمهلهل آمنٌ تماماً بأن نيله للثأر سمة من سمات الرجولة التي تمكنه من الاعتداد بالنفس والتباهي بها.

وفي موضع آخر يحول حالة الذات من الانكسار إلى التسامي والإعلاء حين يعتد بالذات شجاعة وأخذا بالثأر من الأعداد إذ يقول: (القوّال، 1995: 74-75):

يـــــا كُلَيْبـــــاً أَجِـــبْ لِـــدَعْوَةِ دَاعٍ مُوْجَـــــعِ الْقَـــلْبِ دائِـــمِ البلبـــالِ

فَلَقَـــدْ كُنْـــتَ غَيْـــرَ نِكْـــسٍ لَـــدَى الْبَـــأْ سِ وَلا وَاهِـــــــــنٍ وَلا مِـكْـسَـــــــــالِ

قَـــدْ ذَبَحْنَـــا الْأَطْفَـــالَ مِـــنْ آلِ بَكْـــرٍ وَقَهَرْنَـــــا كُمَـاتَهُـــــمْ بِالنِّضَـــــالِ

وَكَرَرْنَـــــا عَلَيْهِـــــمِ وَانْثَنَيْنَـــــا بِسُـيُـــــوفٍ تَقُـــدُّ فِـــي الْأَوْصـــالِ

أَسْلَمُـــوا كُـــلَّ ذَاتِ بَعْـــلٍ وَأُخْـــرَى ذَاتَ خِـــدْرٍ غَـــرَّاءَ مِثْـــلَ الْهِـــلالِ

الواضح من الأبيات أن المهلهل يوجه مشاعره الحزينة والمؤلمة إلى ميدان مقبول اجتماعيّاً، إذ يحول مشاعره نحو ما يريده المجتمع المتمثل بالأخذ بالثأر؛ ولمكانة كليب الاجتماعيّة لا يقتصر ثأر المهلهل بقتل من هو كفْءٌ له، بل يشمل قتله الأطفال والكبار، ولا يكتفي بهذا كله، وإنما يذكر علو نفسه حين يذكر الغنائم مع القتل، وهو بهذا يسمو على الألم بتحويله إلى فعل اجتماعي مقبول وهو الأخذ بالثأر.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة البحثية في رحاب شعر المهلهل، وما اختلج في نفسه من صراع، نستطيع تلخيص أهم ما توصلنا إليه من نتائج بالآتي:

1- لم يكن فقد كليب بالأمر بالهين، ونتج عن هذا الفقد صراع داخلي حاد عند المهلهل، وانعكس ذلك على شعره بوضوح تام، فتراه تارة منكسرًا حزينًا يبكي أخاه، وتارة أخرى يعتد بذاته لقتله من الأعداء ما شفى به نفسه المكلومة.

2- ظهر الكبت في شعر المهلهل استجابة لا شعورية لفقد أخيه، وما تلا هذا الفقد من صراعات دموية وثأرية بينه وبين الأعداء.

3 – جاء التعويض في شعر المهلهل محاولة جادة لملء الفجوة النفسية التي سببها فقد كليب، فحاول تعويض هذا الانكسار والحزن بكثرة القتل تارة، والاعتداد بالذات شجاعة وقوة والأخذ بالثأر تارة أخرى.

4- كان الانكار واحدا من أبرز آليات الدفاع التي جاءت في شعر المهلهل، فأخذ ينكر لا شعوريا موت كليب على وجه الحقيقة من خلال مخاطبته وكأنه حي، وكذلك انكار الهزيمة والانكسار من خلال التشفي بالقتل وبيان القوة والأخذ بالثأر.

5- جاء التبرير عند المهلهل سلوكاً لا إرادياً حاول من خلالها إضفاء مشروعيته على أفعاله غير المقبولة والمتمثلة بقتل عدد كبير من أبناء العمومة، فبرر كثرة قتله للأعداء على أنه فعل واجب لقتلهم كليب غدراً، وبرر حزنه العميق؛ لإيمانه التام بأن مثل كليب يجب ألّا يموت؛ لاجتماع الخصال الحميدة فيه.

6- كان لفقد كليب الأثر البالغ في حياة المهلهل، إذ شعر بكثير من الحزن والانكسار والانهزام، فجاء التسامي شعوريا ولا شعورياً عند المهلهل، فقد حاول من خلالها انتشال الذات من قاع الحزن والانكسار إلى الاعتداد بالذات شجاعة وإصرار على الثأر وكثرة قتل الواترين.

المصادر والمراجع

بن الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد(1997م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1.

ابن منظور (1999م)، لسان العرب، أعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، محمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط3.

أبو سويلم، أنور، (1987م) دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل بيروت، دار عمار، عمان، ط1.

الاصفهاني، أبو فرج، كتاب الأغاني، تحقيق: سمير صابر، دار الفكر، ط2، بيروت، د. ت.

بو بعيو، بو جمعة، (2001م) جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د. ط.

ثعلب، أبي العباس (2008م)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد للتوزيع، سوريا، دمشق، ط3.

الجبوري، توفيق إبراهيم صالح، (٢٠١٨م)، القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً، ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1.

الحفني، عبد المنعم الحفني، (2005م) المعجم الموسوعي للتحليل النفسي، دار نوبلس، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

الحوفي، أحمد محمد، (1952م)، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط3،.

الخازن، منير وهيبة، معجم مصطلحات علم النفس، قدم له الدكتور يوسف الحاج ، دار النشر للجامعيين، د. ط، د. ت.

راجح، أحمد عزت، (1968م)، أصول علم النفس، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط7، القاهرة، ١٩٦٨م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، د. ت.

صليبا، جميل، (1982م) المعجم الفلسفي- بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، د. ط، بيروت، لبنان.

طه، فرج عبد القادر، د. محمود السيد أبو النبيل، د. شاكر عطية قنديل، د. حسين عبد القادر محمد، العميد مصطفى كامل عبد الفتاح، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، د. ت.

عزام، إدريس، موسى أبو حوسة، موسى، أحمد رباعية، أحمد، (2019م) المجتمع الريفي والحضري والبدوي،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، د. ط.

فرويد، سيجموند، وليم شتيكل، وليم، الكبت، ترجمة: علي السيد حضارة، المكتبة الشعبية، د. ط، د. ت.

القوّال، أنطوان محسن، (1995م)، ديوان المهلهل، دار الجيل، ط1، بيروت.

كمال، علي، (1967م) النفس انفعالاتها وأمرائها وعلاجها، ، حقوق النشر الطبع محفوظة للمؤلف ، بغداد، ط1.

محمد، جليل حسن، (2008م)، الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، دار دجلة، ط 1، عمان .

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، معجم الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، د. ط، بيروت، لبنان وبطرة – د. ت.

هال، كلفن (١٩٧٠م)، أصول علم النفس الفرويدي، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ط.

وجليسر، إيلفتش، قائمة ميكانزمات الدفاع، تعريب وتقنين: مجدي محمد الدسوقي، كلية التربية النوعية، د. ط. د. ت.

يوسف، حسني عبد الجليل (1988م)، الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط.

الرسائل والأطاريح

فرحان، خالد مجيد، (٢٠١٩م)، أثر البداوة في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، جامعة كركوك، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

فرحان، خالد مجيد، (2024م)، الانهزامية عند الشاعر الجاهلي بين الرفض والقبول، (أطروحة دكتوراه) جامعة الأنبار، كلية الآداب.

مطر، ياسر كريم، (2025م)، آليات الدفاع النفسي وعلاقتها بمفهوم الذات وكفاءة الأداء لضباط قيادة شرطة صلاح الدين الممارسين للأنشطة الرياضية، (أطروحة دكتوراه)، كليه التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة تكريت.

المجلات والدوريات

منعم، مشتاق طالب، حسوني، شيماء زاحم حسوني، (2019م) الشاعر الجاهلي بين تعسف التقاليد الاجتماعية وميكانزمات الدفاع النفسي، مجلة الآداب، ع 117.

الهزاع، هند عبد الله، (2020م)، الصراع النفسي وعلاقته بالصلابة النفسي لدى طالبات المرحلة الثانوية بدولة الكويت، مجلة العلوم التربوية - كلية التربية بالغردقة، جامعة جنوب الوادي مج3، ع 1.

References

Ibn al-Jazari, Abu al-Hasan ʿAli ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad (1997), Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), edited by ʿUmar ʿAbd al-Salam Tadmuri, Dar al-Kitab al-ʿArabi, Beirut, Lebanon, 1st ed.

Ibn Manzur (1999), Lisan al-ʿArab (The Tongue of the Arabs), revised and corrected by Amin Muhammad ʿAbd al-Wahhab and Muhammad Sadiq al-ʿUbaydi, Dar Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi, Muʾassasat al-Risala, Beirut, Lebanon, 3rd ed.

Abu Suwaylim, Anwar (1987), Studies in Pre-Islamic Poetry, Dar al-Jil, Beirut; Dar ʿAmmar, Amman, 1st ed.

Al-Isfahani, Abu al-Faraj, Kitab al-Aghani (The Book of Songs), edited by Samir Sabir, Dar al-Fikr, 2nd ed., Beirut, n.d.

Bu Baʿyu, Bu Jumʿa (2001), The Dialectic of Values in Pre-Islamic Poetry: A Contemporary Critical Vision, Publications of the Arab Writers' Union, Damascus, n.d.

Thaʿlab, Abu al-ʿAbbas (2008), Commentary on the Diwan of Zuhayr ibn Abi Sulma, edited by Dr. Fakhr al-Din Qabbawa, Harun al-Rashid Library for Distribution, Damascus, Syria, 3rd ed.

Al-Juburi, Tawfiq Ibrahim Salih (2018), Values in Pre-Islamic Poetry as a Social Regulator, Dar Ghaydaʾ for Publishing and Distribution, Amman, 1st ed.

Al-Hifni, ʿAbd al-Munʿim al-Hifni (2005), The Encyclopedic Dictionary of Psychoanalysis, Dar Nobles, Beirut, Lebanon, 1st ed.

Al-Hufi, Ahmad Muhammad (1952), Arab Life through Pre-Islamic Poetry, Nahdat Misr Library and Press, 3rd ed.

Al-Khazin, Munir Wahiba, Dictionary of Psychological Terminology, with an introduction by Dr. Yusuf al-Hajj, Dar al-Nashr lil-Jamiʿiyyin, n.d., n.p.

Rajih, Ahmad ʿIzzat (1968), Principles of Psychology, Dar al-Katib al-ʿArabi for Printing and Publishing, 7th ed., Cairo.

Al-Zabidi, Muhammad Murtada al-Husayni, Taj al-ʿArus min Jawahir al-Qamus, edited by a group of scholars, Dar al-Hidaya, n.d., n.p.

Saliba, Jamil (1982), The Philosophical Dictionary: Arabic, French, English, and Latin Terms, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, Lebanon, n.d.

Taha, Faraj ʿAbd al-Qadir, et al., Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, Dar al-Nahda al-ʿArabiyya for Printing and Publishing, Beirut, 1st ed., n.d.

ʿAzzam, Idris; Abu Huma, Musa; Rubaʿiya, Ahmad (2019), Rural, Urban, and Bedouin Society, United Arab Company for Marketing and Supplies, Cairo, n.d.

Freud, Sigmund; Steckel, Wilhelm, Repression, translated by ʿAli al-Sayyid Hadara, al-Maktaba al-Shaʿbiyya, n.d.

Al-Qawwal, Antoine Muhsin (1995), *Diwan of al-Muhalhil, Dar al-Jil, Beirut, 1st ed.

Kamal, ʿAli (1967), The Psyche: Its Emotions, Disorders, and Treatment, publication rights reserved to the author, Baghdad, 1st ed.

Muhammad, Jalil Hasan (2008), Fear in Arabic Poetry before Islam, Dar Dijla, Amman, 1st ed.

Al-Maydani, Abu al-Fadl Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim, Dictionary of Proverbs, edited by Muhammad Muhyi al-Din ʿAbd al-Hamid, Dar al-Maʿrifa, Beirut, Lebanon and Basra, n.d.

Hall, Calvin (1970), Principles of Freudian Psychology, translated by Dr. Muhammad Fathi al-Shanniti, Dar al-Nahda al-ʿArabiyya for Printing and Publishing, Beirut, n.d.

Wegliser, Ilvitch, List of Defense Mechanisms, translated and standardized by Majdi Muhammad al-Dasuqi, College of Specific Education, n.d.

Yusuf, Husni ʿAbd al-Jalil (1988), Man and Time in Pre-Islamic Poetry, Nahdat Misr Library for Printing and Publishing, Cairo, n.d.

Theses and Dissertations

Farhan, Khalid Majid (2019), The Impact of Bedouin Life on Pre-Islamic Poetry (Master's Thesis), University of Kirkuk, College of Education for Humanities.

Farhan, Khalid Majid (2024), Defeatism in the Pre-Islamic Poet between Rejection and Acceptance (Doctoral Dissertation), University of Anbar, College of Arts.

Matar, Yasser Karim (2025), Psychological Defense Mechanisms and Their Relationship to Self-Concept and Performance Efficiency among Salah al-Din Police Command Officers Practicing Sports Activities (Doctoral Dissertation), College of Physical Education and Sports Sciences, Tikrit University.

Journals and Periodicals

Munʿim, Mushtaq Talib; Hasuni, Shayma Zahim Hasuni (2019), "The Pre-Islamic Poet between the Rigidity of Social Traditions and Psychological Defense Mechanisms," Journal of Arts, Issue 117.

Al-Hazzaʿ, Hind ʿAbdullah (2020), "Psychological Conflict and Its Relationship to Psychological Hardiness among Female Secondary School Students in the State of Kuwait," Journal of Educational Sciences, Faculty of Education in Hurghada, South Valley University, Vol. 3, No. 1.